المحاضرة الرّابعة:

النّقد البنيوي

تمهيـــد:

شهدت السّاحة النّقدية تطوّراتٍ كبيرة في مجال الدّراسات النّقدية المعاصرة، وسنحاول في هذه المحاضرة رصد تجلّيات البنيوية في النّقد العربي المعاصر، ويُعد مصطلح البنية من أكثر المصطلحات التي واجهت مشكلة حقيقية في الفلسفة المعاصرة، وهذا نتيجة الاختلافات النّاجمة عن تمظهرها وتجلّيها في أشكال متنوّعة، فتعدّدت المفاهيم والتّعريفات العلمية إزاءها.

أولا: **البنيوية عند الغرب:**

يعتقد جون ستروك أنّ:" البنيوية لم تظهر فجأة في باريس، وما حدث في باريس في السّتينيّات هو أنّ هذه المعرفة العادية تحوّلت بقدرة قادر إلى شعار اتّخذه بعض النّاس ووجوده أمرا مثيرا فخلقوا منه موضة فكرية شاعت وتجاوزت حدود المعقول. "

لم تنبثق البنيوية كنظرية أو كمنهج بطريقة تلقائية، بل لها جذور عميقة في المذاهب الفكرية والفلسفية السّابقة، وكانت شائعة في كثير من كتابات القرن التّاسع عشر، ومنهم ماركس وفرويد والعالم السّويسري دي سوسير.

ثانيا: **البنيوية في النّقد العربي المعاصر:**

لايمكننا إعطاء حدٍّ دقيق للبنيوية، فحسب سمير سعيد حجازي هي: ''منهج فلسفي وفكري ونقدي، ونظرية للمعرفة، تتميّز بالحرص الشّديد على التزام حدود المنطق والعقلانية، ويتأسّس هذا المنهج على فكرة جوهرية مؤدّاها أنّ الارتباط العامّ لفكرة أو لعدّة أفكار، مرتبطة بعضها ببعض، على أساس العناصر المكوّنة لها، أمّا تلك العناصر فلا يعني بها ذلك المنهج إلاّ من حيث ارتباطها وتأثّرها بعضها ببعض في نظام منطقي مركّب، وفي النّقد تعني محاولة التّوحّد بين لغة الأثر الأدبي والأثر الأدبي نفسه، باعتباره نسقًا يتألّف من جملة عناصر من الدّلالات الشّكلية.''[1]

أمّا **يمنى العيد**؛ فالبنيوية في اعتقادها:'' تفسّر الحدث على مستوى البنية، فالحدث هو كذلك بحكم وجوده في بنية، وقيام الحدث على مستوى البنية يعني أنّ له استقلالية، وأنّه في هذه الاسقلالية محكوم بعقلانية هي عقلانيته المستقلّة عن الإنسان وإرادته.... ''[2]

كما عرّفها **يوسف وغليسي**:'' هي منهج نقدي ينظر إلى النّصّ على أنّه بنية كلامية تقع ضمن بنية كلامية أشمل يعالجها معالجة شمولية، تحوّل النّصّ إلى جملة طويلة، ثمّ تجزّئها إلى وحدات دالّة كبرى فصغرى، وتتقصّى مدلولاتها في تضمّن الدّوال (يمثّلها سوسير بوجهي الورقة الواحدة)، وذلك في إطار رؤية نسقية تنظر إلى النّصّ مستقلاّ عن شتّى سياقاته بما فيها مؤلّفه، وهنا تدخل نظرية موت المؤلّف

[1] سمير سعيد حجازي، إشكالية المنهج في النّقد العربي المعاصر، دار طيبة، القاهرة، مصر، د.ط،2004م، ص213.
[2] يمنى العيد، تقنيات السّرد الرّوائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفرابي، ط3، 2010، ص185.

لرولان بارت، وتكتفي بتفسيره تفسيرا داخليا وصفيا، مع الاستعانة بما تيسّر من إجراءات منهجية علمية كالإحصاء مثلا. "[1]

أمّا بالنّسبة **لعبد السّلام المسدّي**: فهو" يعتزم الولوج إلى بنية النص الدّلالية من خلال بنيته التّركيبية"[2]

وتجدر الإشارة إلى أنّنا سجّلنا تضاربا في المفاهيم، ويعزو هذا إلى غياب ترجمة موحّدة للمصطلح نفسه، كتب **موريس أبو ناصر** في كتابه (الألسنية والنّقد الأدبي في النّظرية الممارسة)، وخالدة سعيد في كتابها (حركية الإبداع)، وكمال أبو ديب في كتابه (جدلية الخفاء والتّجلّي)، وعبد الله محمد الغذّامي في كتابه (الخطيئة والتّكفير من البنيوية إلى التّشريحية)، فكان النّقّاد العرب يعدّون النّص بنية مغلقة على ذاتها ولايسمحون بتغيير يقع خارج علاقاته ونظامه الدّاخلي"[3]

وهذا يعني أنّ البنيوية في الفكر النّقدي ثمرة من ثمرات التّفكير الألسني وآثاره في العلوم الإنسانية المختلفة، مثلما أنّ صورتها الشّكلية الأولى ذات قرابة واضحة بحقٍّ مع مدرسة النّقد الحديث. "[4]

---

[1] يوسف وغليسي، النّقد الجزائري المعاصر، من البنيوية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثّقافية، الجزائر د. ط،2002م، ص120.

[2] عبد السّلام المسدّي، قضيّة البنيوية (دراسة ونماذج)، وزارة الثّقافة، تونس، ط1991،1، ص77.

[3] إبراهيم السّعافين وعبد الله الخياض، من الأدوات تحليل النّص الأدبي، منشورات جامعة القدس المفتوحة ط1993،1، ص70.

[4] إبراهيم السّعافين، إشكالية القارئ في النّقد الألسني، مجلّة الفكر العربي المعاصر، العددان، 60-61، ك 1989،2، ص27-40.

أمّا بالنّسبة لاستقبالها في السّاحة العربية؛ فجاء في منتصف السّبعينيات وذلك عبر المثاقفة والتّرجمة والتّبادل الثّقافي والتّعلّم في جامعات أوروبا، وكانت بداية تمظهر في عالمنا العربي في شكل كتب مترجمة ومؤلّفات تعريفية للبنيوية"[1]

كما كان تطوّرها في البلاد العربية غير متكافئ، فلم يكن النّقاد مطّلعين في كثر من الأحيان على ما يقوم به إخوتهم في الأقطار الأخرى، ونتيجة لذلك تعدّدت مشارب أخذهم عن النّقد العربي، فبعضهم يرجع إلى ترجمات إنجليزية مثل: كمال أبو ديب، أو إسبانية مثل: صلاح فضل، والبعض إلى النّصوص الفرنسية، وهو الأكثر. "[2]

وقد عُرف هذا التّيار في مصر مع النّاقد صلاح فضل من خلال كتابه (النّظرية البنائية في النّقد الأدبي عام 1977م)، وكتابه (علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته)، وفي الأردن أعطى النّاقد كمال أبو ديب دفعا لهذا التّيار من خلال البنية الإيقاعية في الشّعر المعاصر عام 1974م، وفي تونس عبد السّلام المسدّي من خلال كتابه (الأسلوب والأسلوبية نحو بديل البُنى في نقد الأدب)، وكتابه (النّقد والحداثة)، وكتابه (قضيّة البنيوية دراسة ونماذج)، أمّا في المغرب فنجد محمّد برّادة في كتابه (محمّد مندور وتنظير النّقد)[3].

---

[1] بسّام قطوس، المدخل إلى مناهج النّقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر، القاهرة، مصر، د، ط،2005م ص134.

[2] محمّد ولد بوعلية، النّقد الغربي والنّقد العربي، مكتبة بستان المعرفة للطباعة والتوزيع، الإسكندرية، 2002، ص58.

[3] جودة الرّكابي، أدبنا والبنيوية، مجلّة الموقف الأدبي، العددان: 220-221، آب1989م، ص30.

ويمكن اعتبار الدّول العربية الفرانكوفونية السّبّاقة إلى تطبيق البنيوية، وخاصّة دول المغرب العربي ولبنان وسوريا، لتتبّعها فيما بعد مصر ودول الخليج العربي.

أهمّية المنهج البنيوي:

للمنهج البنيوي إيجابيات وسلبيات كباقي المناهج النّقدية الأخرى، فمن الإيجابيات أنّه أقرب المناهج إلى النّصّ الأدبي، لأنّ اللّغة هي التي تشكّل النّص، وتحدّد وجوده وكينونته، وبالتّالي، فاللّسانيات هي المنهجية الوحيدة الصّالحة لدراسة اللّغة في كلّ تمظهراتها الوصفية. كما أنّ هذا المنهج أتى كردّ فعل على المناهج الخارجية التي تقارب النّص الأدبي على ضوء المجتمع، أو على ضوء علم النّفس، أو على أساس اللاّشعور الجمعي عند (كارل يونغ)، أو على أساس الذّوق والتّاريخ...

ولذلك، كان النّص لايحلّل تحليلا عميقا في بنيته الدّاخلية كما تقوم به البنيوية التي تتعامل مع النّص نسقًا داخليًا مغلقا، وتدرسه من خلال المستويات اللّسانية، كالمستوى الصّوتي، والمستوى الصّرفي والمستوى الدّلالي، والمستوى التّركيبي. ويحاول هذا المنهج علمنة النّص الأدبي. ومقاربته مقاربةً موضوعية اعتمادًا على علم اللّغة ومفاهيمها الاصطلاحية المجرّدة عن كلّ ذاتية وذوق انطباعي.

بيد أنّ هذا النّقد له سلبياته المتمثّلة في كونه نقدٌ يقصي التّاريخ، ويغفل عن ذاتية المبدع، ويتجاهل المرجع الخارجي، ويتغافل عن أهمّية القارئ في بناء دلالات النّص، ويهمّش دور الذّوق الذي يُعتبر فيصلا ضروريا في تقويم النّص، وتذوّق جمالياته، واستكناه متعته الحقيقية.

يُعدّ ظهور المناهج الأخرى بعد البنيوية، كالسّيميوطيقا والبنيوية التّكوينية والتّفكيكية وجمالية القراءة دليلًا على قصور هذا المنهج عن الإحاطة بجميع جوانب النّص الأدبي وعتباته الأساسية.

وعلى الرّغم من أهمّية النّقد البنيوي في التّعاطي مع النّصوص الأدبية والفنّية بميكانزماته العلمية والوصفية ذات الخصائص الشّكلية، إلاّ أنّ هذا المنهج أبان عن قصوره، لكنّ الواقع العلمي الحالي يحتّم علينا تجميع ولملمة شتات المكوّنات المشكّلة للنّص الأدبي، في دراستنا لكي تكون المنهجية المطبّقة منهجية علمية مقبولة، توفّق بين الدّاخل والخارج، وتجمع بين النّص والمرجع.